2024 تموز | مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية | العدد 6
July 2024 | Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences | No. 6
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

دور المناسبة في تحديد دلالة النص القرآني عند السيوطي (معترك الأقران نموذجاً)

أ.د. منال صلاح الدين عزيز الصفار
جامعة عقرة للعلوم التطبيقية / كلية التربية/ قسم اللغة العربية
drmanal1966@gmail.com
009647503992507
م.م. ليندا باكوز أبرم
جامعة عقرة للعلوم التطبيقية
كلية التربية/ قسم اللغة العربية
Lenda82bakoz@gmail.com
009647507332348

الملخص

يُعد علم المناسبة من العلوم الجليلة، وقد حظي باهتمام وعناية الكثير من العلماء والدارسين قديماً وحديثاً، وذلك راجع إلى بلاغة النص القرآني ونظمه وارتباط آياته وسوره، حتى تكون كالكلمة الواحدة، فالقرآن الكريم نزل في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، على مدى نيف وعشرين عاماً، يحتل كتاب معترك الأقران في إعجاز القرآن للعلّامة السيوطي مكانة كبيرة في مكتبة الدراسات القرآنية وقد حفل هذا الكتاب بمباحث دلالية كثيرة، ومنها: (علم المناسبة) الذي يعد من الظواهر الدلالية المهمة إذ يحتل موقعاً مركزياً في الأبحاث والدراسات التي تُعنى بالإعجاز القرآني، تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على منهج السيوطي في بحث هذه الظاهرة المهمة التي تظهر فيها براعته وقدرته اللغوية وإثباتها في كتاب الله العزيز كونها وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، فكان لهذا العلم الجليل فضل في بيان الوحدة الموضوعية للسور وآياتها من خلال الربط الذي قام به هذا العلم، وبعد اطلاعنا على الكتاب لفتنا اهتمام السيوطي بهذا العلم وتوظيفه لمعرفة مراد الله تعالى في كتابه العزيز، وعدم الوقوع في اللبس أو الخطأ أو التأويلات المغالى فيها، وعد السيوطي المناسبة الوجه الرابع من وجوه إعجاز القرآن.

الكلمات المفتاحية: المناسبة – السيوطي- الدلالة- الإعجاز.

The role of semantic correlation in determining the implication of the Quranic text in Al-Suyuti: Mu'tarek Al-Aqran as a sample

Prof. Dr. Manal Salah Al-Din Aziz Al-Saffar
University for Applied Sciences - College of Education/Arabic Language
A. L. Linda -Bakoz -Apram
Akre University for Applied Sciences College of Education/Arabic Language

Abstract

The semantic correlation **(ilm al-munasabah)** is one of the venerable sciences which has received the attention of many scholars and researchers, both in ancient and modern times due to the eloquence of the Quranic Text, its frameworks, and the interconnections of its verses and surahs, so it seems like a single word, for The Holy Qur'an has been revealed in numerous decrees that have been stipulated for various causes over a period of twenty years. The book of **"MU'tarek Al-Aqran on The Miracles of The Quran"** by Al-Suyuti which holds a prominent place in the repository of Quranic studies, is chock full of semantic aspects, such as "**The Semantic Correlation**" as an outstanding semantic phenomena which plays a key role in studies and researches pertaining

to the miracles of the Quran. This study seeks to shed light on Al-Suyuti's approach in investigating this significant phenomena in which his prowess and linguistic ability appear, a science to be proved in the Holy Book of Allah, constituting one of the manifestations of the Quranic miracles. This distinguished scientist was acknowledged for having established, via the connection formed by this science, the objective unity of the surah and its verses. After reading the book, we were drawn to Al-Suyuti's fascination with this science which he used to ascertain the intentions of Allah Ta'ala in His Holy Book, so to avoid misunderstandings, errors, or overly dramatic interpretations. He considered this science as one of the marvels recorded in the Quran.

Keywords: Semantic Correlations, Al-Suyuti, semantics, miracles.

التمهيد:

يُعد علم المناسبة من العلوم الجليلة، وقد حظي باهتمام وعناية الكثير من العلماء والدارسين قديماً وحديثاً، وذلك راجع إلى بلاغة النص القرآني ونظمه وارتباط آياته وسوره ، حتى تكون كالكلمة الواحدة، " فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة "[1]، وهناك ترابط وتناسق محكم بين تلك السور والآيات، حيث جاءت كل سورة وكل آية في مكانها المناسب، بالنسبة إلى ما قبلها وما بعدها، فجاءت منتظمة أحسن نظام، فكان لهذا العلم الجليل فضل في بيان الوحدة الموضوعية للسور وآياتها من خلال الربط الذي قام به هذا العلم[*]، ويقول أبو علي الفارسي(ت377هـ): "أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ كَالسُّورَةِ الْوَاحِدَةِ، وَلِهَذَا يُذْكَرُ الشَّيْءُ فِي سُورَةٍ وَجَوَابُهُ فِي سُورَةٍ أُخْرَى"[2]، فعلم المناسبة هو علم" تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه"[3].

وقد بحث العلماء المناسبة في كتب التفاسير وكتب الإعجاز، وكتب علوم القرآن، وأفاضوا في إدراك مقاصده وتدبر معانيه وبلاغته، فأشاروا إلى أهميته وفائدته، ولعل الزركشي(ت794هـ) من أبرز العلماء الذين بحثوا فيه فقد أفرد له باباً في كتابه البرهان سمّاه (معرفة المناسبات بين الآيات)، وحدّه بقوله: "أعلم أن المناسبة علم شريف تُحزرُ به العقول ويعرف به قدر القائلُ فيما يقول"[4]، وبعد أن عرّف المناسبة لغوياً عللها بقوله: "ولهذا قيل الْمُنَاسَبَةُ أَمْرٌ مَعْقُولٌ إِذَا عُرِضَ عَلَى الْعُقُولِ تَلَقَّتْهُ بِالْقَبُولِ"[5]، ثم ذكر أن فائدة هذا العلم هي: "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط ويصير التأليفُ حاله حال البناء المحكم المُتلائم الأجزاء"[6].

---

[1] معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي:44/1، وينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، السيوطي:10-11.

[*] لذا نجد عدداً من الدارسين قد ربط بينه وبين التفسير الموضوعي في القرآن الكريم، ينظر: على سبيل المثال لا الحصر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ودلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة، دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، د. زهراء خالد سعد الله العبيدي.

[2] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام: 328، وينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع:11، والتحرير والتنوير، ابن عاشور: 27/1

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي:6/1.

[4] البرهان في علوم القرآن:35/1.

[5] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[6] المصدر نفسه:36/1، وينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع:11.

ويبدو أن أول من كتب في هذا العلم هو أبو بكر النيساوري[1] (ت324هـ)، وقد وصفه الزركشي بأنّه : "غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قُرئ عليه لم جعلت هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى جَنْبِ هَذِهِ؟ وَمَا الْحِكْمَةُ فِي جَعْلِ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى جَنْبِ هَذِهِ السُّورَةِ؟ وَكَانَ يُزْرِي عَلَى عُلَمَاءِ بَغْدَادَ لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِالْمُنَاسَبَةِ"[2].

وممّن اهتم بهذا العلم وكان له أثر بارز فيه، ابن العربي (ت543هـ) يقول:" ارْتِبَاطُ آيِ الْقُرْآنِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ حَتَّى تَكُونَ كَالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مُتَّسِقَةَ الْمَعَانِي مُنْتَظِمَةَ الْمَبَانِي عِلْمٌ عَظِيمٌ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ إِلَّا عَالِمٌ وَاحِدٌ عَمِلَ فِيهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا فيه فلما لَمْ نَجِدْ لَهُ حَمَلَةً وَرَأَيْنَا الْخَلْقَ بِأَوْصَافِ الْبَطَلَةِ خَتَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ ورددناه إليه"[3].

وقد عدّ الإمام فخر الدين الرازي (ت606هـ) علم المناسبة من أعلى لطائف القرآن، يقف جنباً إلى جنب مع فصاحة لفظه وشرف معانيه، حيث قال: "أَكْثَرُ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ مُودَعَةٌ فِي التَّرْتِيبَاتِ وَالرَّوَابِطِ"[4]، وعدّه وجهاً من وجوه إعجازه قال في تفسيره لسورة البقرة: "وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي لَطَائِفِ نَظْمِ هَذِهِ السُّورَةِ وَفِي بَدَائِعِ تَرْتِيبِهَا عَلِمَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَمَا أَنَّهُ مُعْجِزٌ بِحَسْبِ فَصَاحَةِ أَلْفَاظِهِ وَشَرَفِ مَعَانِيهِ فَهُوَ أَيْضًا بِسَبَبِ تَرْتِيبِهِ وَنَظْمِ آيَاتِهِ وَلَعَلَّ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ مُعْجِزٌ بِسَبَبِ أُسْلُوبِهِ أَرَادُوا ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ جُمْهُورَ الْمُفَسِّرِينَ معرضين عن هَذِهِ اللَّطَائِفِ غَيْرَ مُنْتَبِهِينَ لِهَذِهِ الْأَسْرَارِ وَلَيْسَ الْأَمْرُ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَّا كَمَا قِيلَ:

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ صُورَتَهُ

وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصِّغَرِ[5]"[6].

ويعد تفسير الإمام البقاعي(ت885ه) من أكثر التفاسير اهتماماً بهذه الظاهرة وإبرازاً لها وقد بدأ اهتمامه ظاهراً من عنوان تفسيره الذي اطلق عليه: (نظم الدرر في تناسب الآي والسور)؛ فالمتأمل في العنوان يدرك أن هذا التفسير غايته إبراز الارتباط بين الآيات والسور، وحدّه بقوله: "علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني، لما أقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"[7].

وقد نقل عن رسول (ﷺ) بأن هذا العلم توقيفي من الله عزَّ وجل، قال السيوطي:"وَأَخْرَجَ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: إِنَّمَا أُلِّفَ الْقُرْآنُ عَلَى مَا كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[8].

وَقَالَ الْبَغَوِيُّ(ت516هـ) فِي شَرْحِ السُّنَّةِ: " الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهِ عَنْهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ زَادُوا أَوْ نَقَصُوا مِنْهُ شَيْئًا، خَوْفَ ذَهَابِ بَعْضِهِ بِذَهَابِ حَفَظَتِهِ، فَكَتَبُوهُ كَمَا سَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ أن قدموا شيئا أو أخروا أَوْ وَضَعُوا لَهُ تَرْتِيبًا لَمْ يَأْخُذُوهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَقِّنُ أَصْحَابَهُ وَيُعَلِّمُهُمْ مَا نَزَلَ

---

(1) هو أبو بكر عبد الله بن محمد زياد النيسابوري الفيقه الشافعي الحافظ ولد سنة (288هـ) ورحل في طلب العلم إلى العراق والشام ومصر، ثم سكن بغداد وصار إماماً للشافعية بالعراق. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الحنبلي:129/4.

(2) البرهان في علوم القرآن:36/1، وينظر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي:369/3.

(3) البرهان في علوم القرآن:36/1، وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:6/1-7، والإتقان في علوم القرآن:369/3.

(4) مفاتيح الغيب= التفسير الكبير:110/10، وينظر: البرهان في علوم القرآن:36/1، والإتقان في علوم القرآن: 369/3.

(5) البيت لأبي العلاء المعري الشاعر العباسي، ينظر: نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد: 136/2.

(6) مفاتيح الغيب= التفسير الكبير:106/7-107، وينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:9/1، والإتقان في علوم القرآن :370/3.

(7) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:6/1، وينظر: الإتقان في علوم القرآن:369/3.

(8) الإتقان في علوم القرآن:215/1، وينظر: علم المناسبات في السور والآيات ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، بازمول:17.

عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى التَّرْتِيبِ الَّذِي هُوَ الْآنَ فِي مَصَاحِفِنَا بِتَوْقِيفِ جِبْرِيلَ إِيَّاهُ عَلَى ذَلِكَ وَإِعْلَامِهِ عِنْدَ نُزُولِ كُلِّ آيَةٍ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَتُكْتَبُ عَقِبَ آيَةِ كَذَا فِي سُورَةِ كَذَا فَثَبَتَ أَنَّ سَعْيَ الصَّحَابَةِ كَانَ فِي جَمْعِهِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ لَا فِي تَرْتِيبِهِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ أَنْزَلَهُ اللَّهُ جُمْلَةً إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ كَانَ يُنْزِلُهُ مُفَرَّقًا عِنْدَ الْحَاجَةِ وَتَرْتِيبُ النُّزُولِ غَيْرُ تَرْتِيبِ التِّلَاوَةِ"[1].

وإذا كان الحال كذلك في سور القرآن وآياته " فلا بد أن يكون في هذا الترتيب حكمة وسر"[2].

هي التي جعلت أصحاب الدراسات القرآنية يولونه اهتماماً كبيراً ويطيلون فيه الحديث.

❖ علم المناسبة بين المعارضين والمؤيدين:

دار الجدل حول هذا العلم قديماً وحديثاً، وذلك عندما بدأ التكلف يظهر عند عدد من المفسرين لإثبات المناسبة بين الآيات والسور دون وجود رابط يؤكد هذه المناسبة ويعززها، ومن هنا ظهر الخلاف بين مؤيد ومعارض وبين من وقف موقفاً وسطاً.

1- نجد أن معظم المفسرين وأصحاب علوم القرآن مع القول بوجود التناسب بين الآي والسور وقد أشرنا إلى ذلك عند سرد آراء العلماء قبل قليل.

ومن هولاء أيضاً الشيخ ولي الدين الملوي(ت774هـ) الذي أكد أن ترتيب الآي فيه حكمة ربانية ومن الوهم ألا نبحث عن المناسبة بين الآيات، قال:" قَدْ وَهِمَ مَنْ قَالَ لَا يُطْلَبُ لِلْآيِ الْكَرِيمَةِ مُنَاسَبَةٌ لِأَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ الْمُفَرَّقَةِ وَفَصْلُ الْخِطَابِ أَنَّهَا عَلَى حَسَبِ الْوَقَائِعِ تَنْزِيلًا وَعَلَى حَسَبِ الْحِكْمَةِ تَرْتِيبًا وَتَأْصِيلًا فَالْمُصْحَفُ عَلَى وَفْقِ مَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مرتبة سوره كلها وآياته بِالتَّوْقِيفِ كَمَا أُنْزِلَ جُمْلَةً إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ وَمِنَ الْمُعْجِزِ الْبَيِّنِ أُسْلُوبُهُ وَنَظْمُهُ الْبَاهِرُ وَالَّذِي يَنْبَغِي فِي كُلِّ آيَةٍ أَنْ يُبْحَثَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ عَنْ كَوْنِهَا مُكَمِّلَةً لِمَا قَبْلَهَا أَوْ مُسْتَقِلَّةً ثُمَّ الْمُسْتَقِلَّةُ مَا وَجْهُ مُنَاسَبَتِهَا لِمَا قَبْلَهَا فَفِي ذَلِكَ عِلْمٌ جَمٌّ وَهَكَذَا فِي السُّوَرِ يُطْلَبُ وَجْهُ اتِّصَالِهَا بِمَا قَبْلَهَا وَمَا سِيقَتْ لَهُ"[3].

وهو بهذا يؤكد وجود المناسبة بين الآيات جميعاً ويجعل البحث فيها من العلوم الجليلة ويرد على الرأي الذي ينكر هذا العلم.

2-بينما نجد الشيخ عز الدين بن عبد السلام(ت660هـ) قد أتخذ موقفاً وسطاً، فهو لم يفتح الباب على مصراعيه ولم ينكره تمام الإنكار، وإنمّا وضع شرطاً لقبول الرأي القائل بالمناسبة، قال: "المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حُسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر مُتحد مُرتبط أولهُ بآخره فإن وقع على أسباب مُختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر"[4].

فقد جعل وضوح ارتباط الكلام شرط القول بالتناسب، أما إذا اختلفت الأسباب التي أتت بها الآية أو السورة فلم يجعل التناسب شرطاً لها.

3- من الآراء التي نقلت عن المعارضين لفكرة ضرورة وجود مناسبة بين كل آية وآية، ما نُقِل عن الإمام الشوكاني (ت1250هـ) عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة:**{يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}** [البقرة:٤٠]. قال: "اعْلَمْ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُفَسِّرِينَ جَاءُوا بِعِلْمٍ مُتَكَلَّفٍ، وَخَاضُوا فِي بَحْرٍ لَمْ يُكَلَّفُوا سِبَاحَتَهُ، وَاسْتَغْرَقُوا أَوْقَاتَهُمْ فِي فَنٍّ لَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ بِفَائِدَةٍ، بَلْ أَوْقَعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي التَّكَلُّمِ بِمَحْضِ الرَّأْيِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ فِي الْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِكِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَذْكُرُوا الْمُنَاسَبَةَ بَيْنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمَسْرُودَةِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ الْمَوْجُودِ في المصاحف،

---

[1] شرح السنة:521/4، وينظر: الإتقان في علوم القرآن :215/1-216.
[2] علم المناسبات في السور والآيات ويله مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع :17.
[3] الإتقان في علوم القرآن :370/3.
[4] البرهان في علوم القرآن :37/1.

فجاؤوا بِتَكَلُّفَاتٍ وَتَعَسُّفَاتٍ يَتَبَرَّأُ مِنْهَا الْإِنْصَافُ، وَيَتَنَزَّهُ عَنْهَا كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه"[1].

وقد أكد الدكتور محمد عناية في كتابه (إمعان النظر في نظام الآي والسور) بأن الشوكاني لم يكن معارضاً لهذا الفن إنما عارض التكلف الذي بدأ واضحاً للشوكاني في عدد من نصوص المفسرين، أمثال البقاعي، يقول الدكتور عناية: " ولاشك أن علم المناسبات إنْ كان عبارة عن تلك التكلفات وعن تلك المجازفات، فهو لايخدمُ القرآن في قليل ولا كثير، وليس له مبررٌ من كتابٍ منير أو فكرٍ بصير، ولعل تلك التكلفات هي التي هيّجت الإمام الشوكاني وأثارت حميّته وألجاته إلى أن يقول ما يقول، وإن كنا لا نرتاح إلى أسلوبه لما فيه من العنف والجفاف، ولما أنه يحمل لوناً من الاستخفاف"[2]

وضرب بعد ذلك أمثلة للتكلف لدى البقاعي في تفسيره نظم الدرر[3]، وأكد بعد ذلك أن موقف الشوكاني كان مع القول بالمناسبة دون تكلف بدليل أنه أشار إليها في مواضع كثيرة من تفسيره تحت مبحث سمّاه (الإمام الشوكاني ينكر التكلف)[4].

ونرى بأن الشوكاني يعد المناسبة في ترتيب الآي والسور من الأمور التي لا يجوز الخوض فيها ولا إبداء الرأي، كماعدّها من الأمور المنهي عنها، ووصف القائلين بها بالتكلف والتعسف والبعد عن الإنصاف وجعل كلام الله منزهاً عن هذا العلم؛ لأنه أبلغ مما يقال فيه حسب رأيه، وربما أراد بهذا تضييق الباب وترك المغالاة التي تثقل النص بتأويلات قد لا تكون مقبولة، وبهذا يكون الشوكاني أخذاً بمنهج عز الدين بن عبد السلام ومسانداً لرأيه وهو ما نراه صائباً ونؤيده.

❖ المحدثون وعلم المناسبة:

وقد أخذ المحدثون بتعريف القدماء ولم يخرجوا عنه، فالمناسبة عندهم، هي: " الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه. وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[5].

أمّا علم المناسبة، فهو: " معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض"[6].

وتعد المناسبة مقبولة إذا وقعت: "في أمور متحدة مرتبطة أوائلها بأواخرها فهذا تناسب معقول مقبول، وإن وقع على أسباب مختلفة وأمور متنافرة فما هذا من التناسب في شيء"[7]، وهو الرأي الذي قال به عز عز الدين بن عبد السلام والشوكاني.

وقد اعتمد سيد قطب(ت1386ه) في تفسيره (ظلال القرآن)، على المناسبة لمعرفة الأغراض الدعوية التي يرمي إليها النص، وسار على نهجه الإمامين محمد عبده(ت1905م) في تفسيره لجزء عم، ورشيد رضا(1354هـ) في (تفسير المنار)، والأديب كمال الخطيب في كتيبه (نظرة العجلان في أغراض القرآن)، وكذلك الدكتور محمد محمود حجازي في مصنفيه، (التفسير الواضح) و (الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم)، وتابعهم الأستاذ سعيد حوى في تفسيره العصري (الأساس في التفسير) وغيرهم من الدارسين المحدثين[8].

---

[1] فتح القدير: 1/85-86، وينظر: التناسب القرآني عند الإمام البقاعي (دراسة بلاغية) (رسالة ماجستير)، مشهور موسى مشهور مشاهرة :44.

[2] إمعان النظر في نظام الآي والسور، محمد عناية الله أسد سبحاني:41.

[3] ينظر: المصدر نفسه:40-42.

[4] ينظر: المصدر نفسه: 37-40.

[5] مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم:58، وينظر:المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها(دراسة تطبيقية للجزء الأول من سورة البقرة) (رسالة ماجستير)، أحمد محمد عطيه يوسف المنيرواي:3.

[6] علم المناسبات في السور والآيات ويله مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع:27.

[7] مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح:152.

[8] ينظر: التناسب القرآني عند الإمام البقاعي (دراسة بلاغية) (رسالة ماجستير):54.

ولأهمية هذا العلم ألفت فيه مصنفات عديدة قديمة وحديثة منها:
1-البرهان في تناسب سور القرآن، لأبي جعفر بين الزبير الغرناطي(ت708ه).
2-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت885ه).
3- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، لأبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت911ه).
4-أسرار ترتيب القرآن(*)، لأبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت911ه).
5- تناسق الدرر في تناسب السور (*)، لأبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت911ه).
6- علم المناسبات في السور والآيات ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للدكتور بازمول.
7-إمعان النظر في نظام الآي السور، للدكتور محمد عناية الله سبحاني.
8-دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة، في ضوء علم المناسبة، للدكتورة زهراء خالد سعد الله العبيدي.
9- التناسب القرآني عند الإمام البقاعي (دراسة بلاغية)، مشهور موسى مشهور مشاهرة، الجامعة الأرنية، 2001م.(رسالة ماجستير).
10- أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت، مقبولة علي مسلم الحصيني، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1428هـ - 2007م.(رسالة ماجستير).
11- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها (دراسة تطبيقية للجزء الأول من سورة البقرة)، أحمد محمد عطية يوسف المنيراوي، الجامع الإسلامية، غزة، 1431هـ- 2010م.(رسالة ماجستير)
12-المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها (دراسة تطبيقية من سورة الواقعة إلى نهاية سورة التحريم)، عامر علان الوحيدي، الجامعة الإسلامية، غزة، 1432هـ - 2011م.(رسالة ماجستير).

❖ أهمية علم المناسبات:

وضع المهتمون بهذا العلم بعد أنْ خاضوا فيه وتوسعوا في إبراز أهميته فوائد عدة، ومن أبرزها الآتي:
1-يعد علم المناسبات من العلوم العظيمة والجليلة، وذلك لارتباطه بالنص القرآني المقدس، فهو علم يحتاج إلى فهم دقيق لمقاصد القرآن الكريم، وتذوق لنظمه، وبيانه المعجز، وقد عدّ بعض المفسرين نسبة هذا العلم من علم التفسير مثل نسبة علم البيان من علم النحو[1]، لدوره المهم في إبراز جانب من أسرار القرآن الكريم وبلاغته وصور إعجازه[2].
ويرى البقاعي أن هذا العلم يكشف طريقتين للإعجاز: "أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً، فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره"[3].
وبهذا يكون هذا العلم آية من آيات المصطفى (ﷺ) وأن هذا القرآن كتاب من لدن لطيف حكيم عليم[4].

(*) ذكره السيوطي باسم (أسرار التنزيل)، ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن:43/1.
(*) وقد ذكر السيوطي أن هذا الكتاب هو جزء من كتاب (أسرار ترتيب القرآن) المذكور سابقا، ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن:43/1.
(1) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي:58، والمناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها (دراسة تطبيقية للجزء الأول من سورة البقرة) (رسالة ماجستير) :4.
(2) ينظر: علم المناسبات في السور والآيات ويله مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع:38.
(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:11/1.
(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:75/1.

2-هذا العلم يُظهر فوائد وأسرار التكرار في القرآن الكريم، يقول البقاعي: "وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادعى في تلك السورة، استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة"[1].

3-أنَّ معرفة علم المناسبة بين الآيات والسور، يبين لنا مدى ارتباط الكلام بعضه مع بعض[2].

4- أنَّ طلب المناسبات فيه تحصيل الأجر والثواب من الله عزَّ وجل، إذ تحصل فيه قراءة القرآن العظيم، فيحصل أجر قراءة القرآن العظيم، وكذلك يعين على الحفظ والامتثال لأوامر الله تعالى[3].
5- يساعد علم المناسبات على فَهمِ معاني الآيات القرآنية، ومعرفة المراد منها[4].

❖ **أنواع المناسبات في القرآن الكريم:**

أولاً: المناسبات الداخلية:

وهي المناسبات التي تقع في السورة الواحدة، وقد بحث المفسرون في هذا النوع وأوضحوا المناسبة بين فواتح السور وخواتمها، وكذلك بين اسم السورة ومضمونها[5]، وكذلك بحثوا المناسبة بين الآية وفاصلتها، وذلك لبيان إعجاز القرآن الكريم، ومن هؤلاء المفسرين: أبي حيان(ت745ه)، والبقاعي(ت885ه)، وأبي السعود(ت982هـ)، والشوكاني (ت1250ه)، والألوسي(ت1270هـ) وغيرهم.

ثانياً: المناسبات الخارجية:

وهي المناسبات التي تقع بين السور، وفي هذا النوع بحث الدارسون وجه الارتباط بين فاتحة السورة وخاتمتها، وكذلك فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها، وفاتحة السورة وخاتمة ما بعدها، كما بحثوا مناسبة مضمون كل سورة لما قبلها[6]، ولعل أبرز من بحث في هذا النوع الغرناطي(ت708هـ)، وكذلك أبو حيان، والبقاعي والسيوطي، ومن المحدثين كما ذكرنا سابقاً- محمد رشيد رضا- والمراغي(ت1365هـ) وغيرهم[7].
وبقي لنا أن نشير إلى وجود نوع ثالث من المناسبات وهو النوع الذي يجمع القسمين السابقين ويدخل في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ويتناول بالدراسة مناسبة موضوع مجموعة من السور لمجموعة من السور أو لسورة، ومناسبة موضوع مقطع من الآيات في السورة لمقطع آخر[8].

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:14/1.
[2] البرهان في علوم القرآن:36/1، وينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع:11.
[3] ينظر: علم المناسبات في السور والآيات ويله مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع:40.
[4] ينظر: المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها(دراسة تطبيقية للجزء الأول من سورة البقرة)(رسالة ماجستير):5.
[5] ينظر: البرهان في علوم القرآن:270/1.
[6] ينظر: على سبيل المثال لا الحصر: علم المناسبات في السور والآيات ويله مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع:29-31، والمناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها(رسالة ماجستير)، أحمد محمد المنيراوي:9، والمناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها (دراسة تطبيقية من سورة الواقعة إلى نهاية سورة التحريم) (رسالة ماجستير)، عامر علان الوحيدي:14، وبين علم المناسبة والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة منهجية مقارنة، د. زهراء خالد سعد الله العبيدي، المجلة العالمية لبحوث القرآن:73-74. متاح على الرابط:
file:///C:/Users/DELL/Downloads/20%3056(7).pdf()
[7] ينظر: بين علم المناسبة والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زهراء خالد سعد الله العبيدي، المجلة العالمية لبحوث القرآن:73-74.
[8] ينظر: علم المناسبات في السور والآيات ويله مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع:29.

لذا عدّه الدارسون تفسيراً موضوعياً للقرآن وهناك من جعل لهذا النوع ارتباط بعلم المناسبات وهذا يعني وجود صلة بين الدراستين الموضوعية وعلم المناسبة لا يمكن إغْفَالَهَا لأن كليهما يبحث عن جانب الارتباط الجزئي أو الكلي للآيات والسور.

❖ معترك السيوطي وعلم المناسبة:

ورد ذكر المناسبة في أكثر من موضع في كتاب المعترك، فقد أشار إلى سبب تعالق الآيات ببعضها البعض وكذلك مناسبة الفاصلة لآياتها في أجزاء الكتاب الثلاث(*) فقد تطرق للمناسبة عند حديثه عن حسن تأليف القرآن وإلتام كلمه، وهو: (الوجه الثالث من وجوه إعجازه)، عند حديثه عن علاقة افتتاح الآية واختتامها يقول في معرض حديثه عن قوله تعالى:{**أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ...**}[السجدة:26] إلى قوله :{**أَفَلا يُبْصِرُونَ**} [السجدة:٢٧] " فأتى في الآية الأولى بـ(يهْدِ لهم)، وختمها بـ (يَسْمَعُون)؛ لأنّ الموعظة فيها مسموعة وهي أخبار القرون، وفي الثانية بـ (يروا)، وختمها بـ (يبصرون) لأنها مرئية"[1].

وقد علل اختتام قوله تعالى:{**لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ**} بقوله:{**وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**}[الأنعام:103] ؛ قائلاً: "إنّ اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبير يناسب ما يدركه"[2].

وكذلك أورد قوله تعالى: {**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ**} [المؤمنون:12] إلى قوله تعالى: {**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**} [المؤمنون:14]، وعلل هذه الفاصلة بقوله: "فإن في هذه الفاصلة التمكين التام المناسب لما قبلها"[3].

ونقل بعدها آراء الصحابة في المناسبة، بقوله: " وقد بادر بعض الصحابة حين نزل أول الآية إلى ختمها بها قبل أن يسمع آخرها؛ فاخرج ابن أبي حاتم عن طريق الشعبي عن زيد بن ثابت، قال: أمْلَى عليَّ رسول الله (ﷺ) هذه الآية: قال تعالى: {**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ**} [المؤمنون:12] إلى قوله: {**خَلْقًا آخَرَ**} [المؤمنون:14]. قال معاذ بن جبل: فتبارك الله أحسن الخَالِقِينَ؛ فضحك رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال له معاذ: مِمَّ ضحكْتَ يا رسول الله، قال: بها خُتِمت. وحكي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: فإن زَللْتُمْ من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم ولم يقرأ القرآن، فقال: إن هذا ليس بكلام الله؛ لأن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنه إغراء عليه"[4].

وكان حديثه هنا عن الفاصلة القرآنية ودورها في إبراز تألق النظم القرآني وحسن انسجامه وإعجازه الذي علا به عن غيره من الكلام العربي.

وقد وردت إشارة لهذا العلم في (الوجه الخامس والثلاثون) الذي يحمل عنوان (الألفاظ المشتركة)، عند الحديث عن مناسبة ارتباط فاصلة الآية[44] من سورة إبراهيم بفاصلة الآية [34] من السورة نفسها وعلاقتها بفاصلة الآية[18] من سورة النحل، قال:"فإن قلت ما مناسبة هذه الآية لقوله تعالى: {**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**} [إبراهيم:34] ، وختم آية النحل بقوله تعالى:{ **إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**} [النحل:18]؟

والجواب: أنه تقدم آية إبراهيم: قوله تعالى:{**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا**} [إبراهيم:28] إلى قوله تعالى:{**وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ**} [إبراهيم:34] ، فناسبه ما ذكره تعالى من توالي إنعامه ودرور إحسانه، ومقابلة ذلك من العبيد بالتبديل، وجعل الأنداد - وصف الإنسان بأنه ظلوم كفار.

وأما آيةُ النحل فلم يتقدمها غير ما نبّه سبحانه لعباده المؤمنين من تَوَالي آلائه وإحسانه وما ابتدأهم به من نِعَمه من لَدن قوله تعالى: {**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ**} [النحل:4] ، فذكر بضعاً وعشرين من أُمهات النعم

(*) يعد كتاب (معترك الأقران في إعجاز القرآن) من المراجع المهمة في الإعجاز القرآني، وقد احتوى على خمسة وثلاثين وجهاً، خصصت كلها للإعجاز القرآني، فصل فيها السيوطي الحديث تفصيلاً دقيقاً بذكر الأمثلة التي تليق بكل مقام.

(1) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي:32/1.

(2) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

إلى قوله – منبهاً وموقظاً من الغفلة والنسيان:{أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ} [النحل:17] ، فناسب ختام قوله تعالى:{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل:18] بالغفران، فانظر هذا اللطف الجميل بعباده والتناسب الواضح"[1].

أما (المناسبة) علماً صريحاً واضح المعالم فقد بحثه في (الوجه الرابع) من وجوه إعجاز القرآن الكريم، تحت عنوان:(مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني)[2].

وقد تناول في هذا الوجه آراء من سبقه من العلماء والمفسرين في هذا العلم، فذكر رأي الرازي وعز الدين بن عبد السلام وولي الدين الملوي، الذي أشرنا إليهم سابقاً، وهي على ما يبدو كلها نقلاً عن البرهان للزركشي[3].

وبعدها تطرق إلى الحديث عن العلماء الذين ألفوا تواليف في أسرار هذا العلم، أمثال أبو جعفر بن الزبير والبقاعي وأشار إلى كتابه أسرار التنزيل، قد لخص جزءاً منه سمّاه تناسق الدرر في تناسب السور[4].

ثم عرّف المناسبة بقوله هي: "المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذهنيّ، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه"[5].

وهو بهذا التعريف يشير أن المناسبة تنقسم إلى عامة وخاصة وأشار إلى علاقات التلازم الذهني.

ووصف هذا العلم بأنه: " علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[6]، وتطرق إلى فوائده فذكر فائدة هذا العلم وهي:" جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حالته حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[7].

وعلق على هذه الفائدة بذكر أنواع ارتباط الآي ببعضها البعض فجعلها على قسمين:

الأول: أن يكون ظاهر الارتباط بين الآية الأولى والتي تليها، لتعلق الكلام بعضه ببعض، وعدم تمامه في الأولى، فواضح؛ وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل، وهذا القسم لا كلام فيه.

الثاني: أن لا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به، ويتفرع من هذا القسم نوعان:

النوع الأول: أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشركة في الحكم.

أما النوع الثاني: أن تكون غير معطوفة على ما قبلها[8].

واشترط في النوع الأول أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه، كقوله تعالى:{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} [سبأ:٢]. وقوله: {وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة:٢٤٥]، للتضاد بين القبض والبصط، والولوج والخروج، والنزول والعروج، وشبه التضاد بين السماء والأرض.

ومما العلاقة فيه التضاد ذكرُ الرحمة بعد ذكر العذاب، والرغبة بعد الرهبة، وقد جرت عادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً أو وعيداً؛ لتكون باعثاً على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه؛ ليعلم عِظَم الآمر الناهي، وتأمَّل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك[1].

---

(1) المصدر نفسه:317/3.
(2) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن:1/ 43-58.
(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 35 وما بعدها.
(4) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن:43/1. وقد أشرنا في فقرة سابقة من البحث إلى الكتب التي أُلفت في هذا الميدان.
(5) المصدر نفسه:44/1-45.
(6) المصدر نفسه:43/1.
(7) المصدر نفسه:45/1.
(8) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

ويبدو أن الجامع بين هذه المعطوفات هو المضادة التي تعكس الصورة وتوضحها وتزيد من ارتباطها في الذهن.

وجعل شرط النوع الثاني وجود قرائن معنوية يقول: " إن لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تُؤْذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط"[2].

- **أسباب الربط:**

وأشار إلى القرائن المعنوية التي تؤدي إلى الربط وجعلها ست وهي: (التنظير- المضادة – الاستطراد – حسن التخلص – الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع – حسن المطلب) وفصّل فيها القول:

أحدها: "التنظير، فإن إلحاق النَّظير بالنَّظير من شأن العقلاء، كما في قوله تعالى:**{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ}** [الأنفال:5] -عَقِب قوله تعالى:**{أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ}** [الأنفال:4]، فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كُرْهٍ من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العِير أو القتال وهم له كارهون، والقُصد أن كراهتهم لما فعله من قسم الغنائم ككراهتهم للخروج، وقد تَبَين في الخروج الخير من النصر والظفر والغنيمة وعزّ الإسلام، فكذا يكون فيما فعله في القسمة، فليطيعوا ما أمروا ويتركوا هَوَى أنفسهم"[3].

الثاني: "المضادة، كقوله تعالى: في سورة البقرة:**{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}** [البقرة:6]، فإن أول السورة كان حديثاً عن القرآن، وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان، فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين؛ فبينهما جامع وهْمِيّ بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. فإن قيل: هذا جامع بعيد؛ لأن كونه حديثاً عن المؤمنين بالعَرَض لا بالذات، والمقصودُ بالذات الذي هو مساق الكلام إنما هو الحديث عن القرآن، لأنه مفتتح القول.

قيل: لا يشترط في الجامع ذلك؛ بل يكفي التعلق على أي وجه كان، ويكفي في وجه الربط ما ذكرنا؛ لأن القصد تأكيد أمر القرآن، والعملُ به، والحثُّ على الإيمان؛ ولهذا لما فرغ من ذلك قال: **{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا}** [البقرة: 23] فرجع إلى الأول"[4].

الثالث: "الاستطراد(*)، كقوله تعالى:**{يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ...}** [الأعراف:26]. قال الزمخشري[5]: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدوّ السَّوْءات، وخَصْف الورق عليها، إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العراء وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقى.

وقد خرجت على الاستطراد قوله تعالى:**{لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ}** [النساء:172] ؛ فإن أول الكلام ذكر فيه الرد على النصارى الزاعمين بنوّة المسيح، ثم استطراد الرد على العرب الزاعمين بنوة الملائكة"[6].

الرابع: حُسن التخلص، وهو أن ينتقل مما ابتدأ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاساً دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما.

---

(1) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(2) معترك الأقران في إعجاز القرآن:45/1.
(3) المصدر نفسه:45/1-46.
(4) المصدر نفسه:46/1.
(*) الاستطراد من المحسنات المعنوية في علم البديع، كثير التداول بين أغلب النقاد وأهل البلاغة والأدب، وعرّفه العسكري بقوله: "وهو أن يأخذ المتكلّم في معنى، فبينا يمرّ فيه يأخذ في معنى آخر؛ وقد جعل الأول سببا إليه" الصناعتين:398.
(5) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:97/2.
(6) معترك الأقران في إعجاز القرآن:46/1-47.

وقد غلّط الغانمي[1] في قوله: "لم يَقَعْ منه في القرآن شيء لما فيه من التكلف، ... وأن القرآن إنما وقع رداً كل الاقتضاب الذي هو طريقُ العرب من الانتقال إلى غير ملائم"[2].
ورد عليه قائلاً: "وليس كما قال؛ ففيه من التخلصات العجيبة ما يحيّر العقول. وانظر إلى سورة الأعراف كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة، ثم ذكر موسى إلى أن قص حكاية السبعين رجلاً ودعائه لهم ولسائر أمته بقوله:**{وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ}** [الأعراف: ١٥٦] ، وجوابه تعالى عنه، ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه بقوله لأمته:**{ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ}** [الأعراف: 156] ، من صفاتهم كيت وكيت، وهم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي؛ وأخذ في صفاته الكريمة وفضائله"[3].

وفي سورة الشعراء حكى قول إبراهيم: قال تعالى:**{وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ}** [الشعراء:87]. فتخلص منه إلى وصف المعاد بقوله: قال تعالى:**{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ}** [الشعراء: 88].
وفي سورة الكهف حكى سدّ (ذو القرنين) بقوله:**{ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ}** [الكهف:98] ؛ فتخلَّص منه إلى وصف حالهم بعد ذكر الذى هو من أشراط الساعة ثم النفخ في الصُّور، وذكر الحَشْر، ووصف حال الكفار والمؤمنين[4].
ثم ذكر لنا الفرق بين التخلص والاستطراد، بقوله: "وقال بعضهم الفرق بين التخلص والاستطراد، أنك في التخلص تركت ماكنتَ فيه بالكلية، وأقبلت على ما تخلصت إليه، وفي الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطردت إليه مروراً كالبرق الخاطف ثم تتركه إلى ما كنت فيه، كأنك لم تقصده، وإنما عرض عروضاً.
قال: وبهذا يظهر أن ما في سورة الأعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلص؛ لعَوْدِه في الأعراف إلى قصة موسى بقوله:**{وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}** [الأعراف: 159] ، وفي الشعراء إلى ذكر الأنبياء والأمم"[5].

الخامس: "الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع مفصولاً بـ(هذا)، كقوله في (سورة ص) بعد ذكر الأنبياء: قال تعالى:**{هذا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ}** [ص: 49]. قال: هذا القرآن نوع من الذكر لَمّا انتهى ذكر الأنبياء، وهو نوع من التنزيل، أراد أن يذكر نوعاً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها، ثم لما فرغ قال: قال تعالى:**{هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ}** [ص:55]. فذكر النار وأهلها. قال ابن الأثير[6]:هذا في هذا هذا المقام من الفصل هو أحسن من الوصل، وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر"[7].
السادس: "حسن المطلب، قال الزنجاني[8] والطيبي[9]: وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدمة الوسيلة، كقولك: قال تعالى:**{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** [الفاتحة:5]. قال الطيبي[10]: وما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب معاً قوله تعالى – حكاية عن إبراهيم: قال تعالى: **{فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي...}** إلى قوله تعالى:**{رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}** [الشعراء: 83] "[11].

---

(1) هو أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي. كان من فضلاء عصره، وله شعر مشهور، وهو من شعراء نظام الملك، ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير:374/2.
(2) معترك الأقران في إعجاز القرآن:47/1.
(3) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(4) ينظر: المصدر نفسه: 47/1-48.
(5) المصدر نفسه:48/1.
(6) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:260/2.
(7) معترك الأقران في إعجاز القرآن:48/1.
(8) ينظر: كتاب معيار النظار في علوم الأشعار، الزنجاني:27/1.
(9) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف):750/1.
(10) ينظر: المصدر نفسه:374/11-375.
(11) معترك الأقران في إعجاز القرآن:48/1.

وقد أدرج السيوطي الأنواع الثلاثة الأخيرة تحت النوع الثالث الذي سماه بـ (الاستطراد).

وبعد هذه الأسباب ذكر لنا السيوطي قاعدة مهمة تعين الدارس في معرفة المناسبات في جميع القرآن الكريم وهي كالآتي:

1-هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة.

2- وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات.

3- وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القُرْب والبعد من المطلوب.

4- وتنظر عند انجرار الكلام في مقدمات إلى ما تستتبعه من استشراف نَفْس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلي المعينُ على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلْتَه بيَّن لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة وسورة [1].

وبهذا يكون السيوطي قد سهل على دارس هذا العلم الطريق وذلله له.

❖ أنواع المناسبات:

أفرد السيوطي فصلاً سمّاه(مناسبة السور)[2] وفي هذا الفصل وبعد قراءة دقيقة وتمعن وجدنا ثمانية أنواع أنواع من المناسبات لم يصرّح باسمها توصلنا إليها من خلال تعليقه على كل مثالٍ من الأمثلة التي ذكرها وهذه الأنواع، هي:

أولاً: مناسبة افتتاح السورة لخاتمتها:

وقد ذكر مثالاً على ذلك سورة القصص التي بدأت بذكر نبأ موسى-عليه السلام- وذلك قوله تعالى:**{طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ*}** [القصص: 1-2-3]. ونصره الله له، وذلك قوله تعالى:**{فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ}** [القصص:17]. وخروجه من وطنه، وختمت بأمر النبي(ﷺ) بأنْ لا يكون ظهيراً للكافرين وذلك قوله تعالى:**{وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ* وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * }** [القصص: 86-87-88].

وقد علل السيوطي اختتام السورة بهذا القول إنما جاءت تسلية من الله للرسول عليه الصلاة والسلام عند إخراجه من مكة، ووعده له بالعودة إليها، لقوله في أول السورة:**{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ}** [القصص:7] [3].

فكأنه قارن بين الموضوعيين ففي قصة موسى حزن ينتهي بالفرح والنصرة وكذلك في قصة الرسول (ﷺ) معاناة وآلم تنتهي بنصرة وسيادة.

وهذه عادة القرآن الكريم في تكرار القصص القرآني الذي يكون من أكبر أهدافه تسلية الرسول وتثبيته[4].

ثم ذكر بعد ذلك أمثلة مقتضبة دون الإشارة إلى تعليل كونه أحالنا إلى كتابه، بقوله: "وقد أفردت فيه جزءاً لطيفاً سميته (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع(*))"[5].

---

[1] ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن:49/1.

[2] ينظر: المصدر نفسه:51/1.

[3] ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

[4] ينظر: القصص القرآني، عبد الكريم الخطيب:230-233.

[*] مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، جلال الدين السيوطي، قراءة وتممه د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض، ط1، 1426هـ.

[5] معترك الأقران في إعجاز القرآن:51/1.

ثانياً: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة السورة التي قبلها:

وضرب لذلك أمثلة عديدة منها:

1- ارتباط قوله تعالى:**{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}** [قريش:1]. بقوله سبحانه: في خاتمة سورة الفيل**{فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}** ّ قال: " حتى إن منها ما يظهر تعلقها به لفظاً"[(1)].

ونقل تعليل الأخفش[(2)] بأن اتصال فاتحة سورة قريش بخاتمة سورة الفيل من باب قوله تعالى:**{ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}** [القصص:8] [(3)].

2-ومن هذا النوع: أيضاً، ارتباط خاتمة سورة النساء بفاتحة سورة المائدة، وقد نقل عن الكواشي[(4)] معللاً: لما ختم سورة النساء أمراً بالتوحد والعدل بين العباد – وذلك قوله عز ّ وجل: **{يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** [النساء:176]. وأكد ذلك بقوله تعالى:**{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}** [المائدة:1][(5)].

3-ومن هذا النوع افتتاح سورة الأنعام بالحمد، وذلك قوله تعالى: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}** [الأنعام:1].

الذي ناسب ختام المائدة من فصل القضاء في قوله تعالى: **{لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [المائدة:120].

وجعله كقوله تعالى في سورة الزمر:**{وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** [الزمر:75][(6)].

فنراه يستدل على أمثلتهِ بآياتٍ من الذكر الحكيم معتمداً على السياق الذي يؤكد أن القرآن الكريم كله نصّاً واحداً وأن تعددت سورهِ وكثرت آياته.

4- ومن ذلك افتتاح سورة فاطر التي ابتدأت بقوله سبحانه:**{الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** [فاطر:1]. الذي ناسب ختام سورة سبأ التي انتهت بقوله تعالى:**{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ}**[سبأ: 54][(7)].

5-ومنه افتتاح سورة الحديد بالتسبيح: **{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** الذي ختمت به سورة الواقعة حيث قال عزّ وجل: في الواقعة**{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}**[الواقعة:96] [(8)].

وجعل هذا النوع دليلاً من الدلائل الكثيرة التي تشير إلى أن ترتيب السور في القرآن توقيفي من الله سبحانه عزَّ وجل.

النوع الثالث: مناسبة خاتمة السورة لموضوع السورة التي قبلها:

---

(1) معترك الأقران في إعجاز القرآن:52/1.
(2) لم نعثر على النص فيما اطلعنا عليه من نصوص الأخفش.
(3) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن:52/1.
(4) ينظر: التلخيص في تفسير القرآن العظيم: 33/1.
(5) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن:52/1.
(6) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(7) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(8) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

ومثّل له بقوله تعالى في افتتاح سورة البقرة: {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ *} [البقرة:1-2] يشير السيوطي- رحمه الله -بأن هذا الافتتاح هو إشارة إلى الصراط الذي ورد في سورة الفاتحة في قوله تعالى:{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة:6].

" كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم: ذلك الصراط المستقيم الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة"[1].

وهو تعليل ينم عن دقة حسه اللغوي وقدرته على التحليل والربط.

النوع الرابع: مناسبة موضوع السورة اللاحقة مع موضوع السورة السابقة: وقد ذكر السيوطي لهذا النوع طريقتين:

الأولى: أن يكون بالضدية (التقابل)

يقول: "ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة التي قبلها [يعني سورة الماعون]؛ لأن السابقة وصف الله المنافق فيها بأربعة أمور: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة؛ فذكر فيها في مقابلة البخل: إنا أعطيناك الكوثر، أي الخير الكثير. وفي مقابلة ترك الصلاة فصلّ، أي فَدُمْ عليها. وفي مقابلة الرياء لربك أي لرضاه لا للناس. وفي مقابلة منع الماعون وانْحَر، وأراد به التصدق بلحم الأضاحي"[2]. وهذا من لطائف تحليلاته (رحمه الله).

الثانية: أن يكون بالمشابهة بين موضوع السورتين، كما في مشابهة جملة السورة لجملة أخرى، كما في سورتي (الضحى وألم نشرح)[3]، فالمتأمل إلى المشابهة الحاصلة بين السورتين، يرى أنَّ كلا السورتين كان موضوعها العناية بالرسول عليه الصلاة والسلام.

ثم يلتفت إلى المناسبة بين موضوع السور الفاتحة والبقرة وآل عمران فيقول نقلاً " قال بعض الأئمة: وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالرُّبوبية والالتجاء إليه في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية، وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين، وآل عمران تكملة المقصود، فالبقرة بمنزلة إقامة الدين على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم؛ ولهذا ورد فيه ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى، وأوجب الحج في آل عمران، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه، وكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر؛ لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها، والنبي - ﷺ - لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر؛ كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب؛ ولهذا كانت السور الكلية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء، فخوطب به جميعُ الناس، والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخوطبوا بأهل الكتاب، يا بني إسرائيل، يا أيها الذين آمنوا"[4].

وهذه الالتفاتة القيمة وإن كانت نقلاً تفتح للدارسين آفاقاً واسعة لدراسة الترابط الموضوعي بين سور القرآن الكريم.

النوع الخامس: مناسبة فاتحة السورة لموضوع السورة نفسها:

ويدخل ضمن هذا النوع السور التي ابتدأت بحروف مقطعة، يقول السيوطي:"وذلك أن كل سورة بدأت بحرف منها؛ فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له، فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها، فلو وضع (ق) موضع (ن)؛ لم يمكن؛ لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله، وسورة (ق) بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف، من ذلك القرآن، والخلق، وتكرير القول، ومراجعته مراراً، والقرب من ابن آدم، وتلقي الملكين، وقول العتيد والرقيب، والسابق، والإلقاء في جهنم، والتقدم بالوعد، وذكر

---

[1] معترك الأقران في إعجاز القرآن:1/52-53.
[2] المصدر نفسه:1/53.
[3] ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
[4] المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

المتقين، والقلب، والقرون، والتنقيب في البلاد، وتشقق الأرض، وحقوق الوعيد، وغير ذلك، وقد تكررت الراء في سورة يونس من الكلام الواقع فيها إلى مائتي كلمة أو أكثر، فلهذا افتتحت بالراء"[1].
وبهذا يكون الرابط هنا صوتياً-أي علاقة الصوت بتركيب السورة- حيث جعل للصوت دلالة في اختيار الألفاظ التي لا شك لها دلالة تختلف عن دلالة الألفاظ القريبة منها في الدلالة وهذا من أوجه الإعجاز التي تفرد بها القرآن الكريم.
ومن هذا النوع -أي الذي يرتبط فيه الصوت بالموضوع- علاقة افتتاح سورة (ص) بهذا الحرف[*] وقد علل هذه المناسبة بقوله:
1- "اشتملت سورة (ص) على خصومات متعددة، فأولها خصومة النبي - ﷺ - مع الكفار وقولهم:**{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا}** [ص:5]، ثم اختصام الخَصْمَيْن مع داود، ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصام المَلَأِ الأعْلَى، ثم تخاصم إبليس في شأن آدم، ثم في شأن بنيه وإغوائهم"[2].

2- وكذلك افتتاح سورة البقرة بالحروف المقطعة (آلم) التي "جمعت المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتين على ترتيبها؛ وذلك إشارة إلى البداية التي هي بدء الخلق والنهاية التي هي المعاد والتوسط الذي هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهي، وكل سورة افتتحت بها فهي مشتملة على الأمور الثلاثة"[3].

3- وعن افتتاح سورة الأعراف بالحروف(آلمص) قال:"زيد فيها الصاد على آلم لما فيها من شرح القصص: قصة آدم فمن بعده من الأنبياء، ولما فيها من ذكر: **{فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ}** [الأعراف:2]؛ ولهذا قال بعضهم: معنى آلمص: ألم نشرح لك صدرك"[4].

4-وزيد في الرعد لأجل قوله:**{رَفَعَ السَّمَاوَاتِ}** [الرعد:2] ، ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما [5].

والرابط هنا في السور الأربعة الأخيرة، صوتياً دلالياً وبهذا يكون الربط هنا أعمق لأن الجمع بين الصوت والدلالة يحتاج إلى فكر دقيق وتأمل عميق، لم يخفَ على السيوطي الذي أقام عليه حكمه.

النوع السادس: مناسبة افتتاح فاصلة السورة اللاحقة لفاصلة خاتمة السورة السابقة:
ويمكن تسمية هذا النوع:(بالتناسب الإيقاعي) وضرب له مثلاً، قوله تعالى خاتمة سورة المسد:**{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}**[المسد:5]، وقوله بداية سورة الإخلاص:**{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}** [الإخلاص:1] فجعل المناسبة " للوزان في اللفظ، كآخر (تَّبت) وأول (الإخلاص)"[6].

فالملاحظ أن الرابط بين اللفظتين (مسد) و(أحد) اللتين ختمت بهما الفاصلتان هو رابط إيقاعي فقط لا علاقة له بدلالة كل من اللفظتين، وهذا يؤكد أنّ ترتيب السور في القرآن الكريم توقيفي.

النوع السابع: مناسبة بداية السورة اللاحقة لبداية السورة السابقة:
وقد استشفينا هذا النوع من خلال تعليقِهِ في موضعين:

---

(1) المصدر نفسه:55/1.
(*) فهو صوت يمتلك أكثر من صفة قوية منها: الإطباق والاستعلاء والتفخيم وكذلك يعد من أصوات الصفير، ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 74-76.
(2) معترك الأقران في إعجاز القرآن: 55/1.
(3) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(4) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(5) ينظر: المصدر نفسه:56/1.
(6) المصدر نفسه:53/1.

الأول: عند حديثه عن ترتيب السور التوقيفي في القرآن، وذلك قوله: " ووضعوا سورة (القَدْر) عِقَب (العَلَق)، استدلوا بذلك على أن المراد بذلك الكناية في قوله تعالى: **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}** [القدر:1] ، الإشارة إلى قوله (اقْرَأ)"[1].

الثاني: عند كلامه عن الحروف المقطعة وعلاقتها بالسورة يقول عن مناسبة ابتداء البقرة بـ(آلم):" لما ابتدأت الفاتحة بالحرف المحكم الظاهر لكل أحدٍ ... ابتدأت البقرة بمقابله، وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل أو المستحيله"[2].

النوع الثامن: مناسبة اسم السورة لمقصدها:

وهذا النوع الأخير ذكره أيضاً عند الحديث عن الحروف المقطعة في بداية السور يقول:" ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها، وفي العجائب للكرماني[3]: إنما سُميت السور السبع (حم) على الاشتراك في الاسم لما بينهنَّ من التَّشَاكُل الذي اختصت به، وهو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صِفَة الكتاب، مع تفاوت المقادير في الطول، والقِصَر، وتشاكل الكلام في النظام"[4].

وقد نبه في منتصف هذا الباب إلى عدد من الآيات التي اشكلت مناسبتها لما قبلها، كآيات سورة القيامة واستند في إثبات المناسبة على أقوال من سبقه من الأئمة[5].

وكذلك فعل عند الرد على من أنكر الترابط بين أجزاء آية سورة البقرة[189] وآيات أخرى أنكر بعضهم وجود مناسبة بينها وأكدها السيوطي[6].

وهذا الجهد الذي قدمه السيوطي بهذا التفصيل الدقيق سهل الطريق أمام الدارسين الذين يرومون البحث في هذا العلم الجليل؛ لأنه كما بينا ذكر تقسيماته وجمع معظم الآراء التي قيلت فيه والأدلة عليه وحاجج من أنكره.

وما قدمه يشير إلى الحس الدلالي العميق الذي اعتمد فيه على السياق القبلي والبعدي لإيجاد الروابط الدلالية بين الآيات والسور.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة لابُدّ أن نبرز النتائج التي توصلنا إليها:

1-علم المناسبة مهم جداً لمعرفة مراد الله تعالى وعدم الوقوع في اللبس أو الخطأ أو التأويلات المغالى فيها، ودفع ما يتوهم أنه تكرار في القرآن الكريم.

2- يعد السيوطي أبرز من وَظَّف قواعد علم أصول الفقه في دراسات علوم القرآن والتفسير.

3-جعل السيوطي -رحمه الله- المناسبة (الوجه الرابع) من وجوه إعجاز القرآن الكريم في كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن).

4-ورد ذكر المناسبة في أكثر من موضع من كتاب المعترك، فقد أشار إلى سبب تعالق الآيات ببعضها البعض وكذلك مناسبة الفاصلة لآياتها في أجزاء الكتاب الثلاث.

5-ربط السيوطي بين الإئتلاف وعلم المناسبة؛ لأن الفواصل نوع من أنواع المناسبة، ولم يخفَ على السيوطي إدراك أن المناسبة تندرج تحت ما سمى بإتلاف القرآن؛ لذا وضعها بعده مباشرة.

6-بعد قراءة دقيقة وتمعن لمادة الباب، وجدنا ثمانية أنواع من المناسبات لم يصرّح باسمها السيوطي ولكن توصلنا إليها من خلال تعليقه على كل مثالٍ من الأمثلة التي ذكرها .

المصادر والمراجع:

---

[1] المصدر نفسه:54/1.
[2] معترك الأقران في إعجاز القرآن:57/1.
[3] ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: 1037/1.
[4] معترك الأقران في إعجاز القرآن:57/1-58.
[5] ينظر: المصدر نفسه:49/1-50.
[6] ينظر: المصدر نفسه:51.

الكتب:
1-الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(المتوفى:911ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ- 1974 م.
2-الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975م.
3-إمعان النظر في نظام الآي والسور، محمد عناية الله أسد سبحاني، دار عمار، عمّان، 2006م.
4-البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر ، بيروت، 1420 هـ.
5-البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادرالزركشي(المتوفى: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو فضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، 1376 هـ - 1957 م.
6-التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس،1984م.
7-التلخيص في تفسير القرآن العظيم، تأليف موفق الدين أبي العباس أحمد بن يوسف الموصلي الشافعي المعروف بالكواشي(المتوفى:680هـ -1281م)، دراسة وتحقيق: أ.د. محيى هلال السرحان، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، سلسلة إحياء التراث الإسلامي(79)، جمهورية العراق، 1427ه-2006م.
8-الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ - 1964 م.
9-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1406 هـ.
10-شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي(المتوفى: 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، ط2، المكتب الإسلامي ، دمشق-بيروت،1403هـ - 1983م.

11-الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419 هـ.
12-علم المناسبات في السور والآيات ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، محمد بن عمر بن سالم بازمول، ط1، المكتبة المكية، باب العمرة -مكة المكرمة،1423هـ -2002م.
13-غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو 505هـ) تحقيق: د. شمران سركال يونس العجيلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن- بيروت.
14-فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق، بيروت، 1414 هـ.
15-فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: 743 هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434 هـ - 2013 م.
16-القصص القرآني في منطوقه ومفهومه(مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف)، عبد الكريم الخطيب، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1395ه-1975م.
17- كتاب معيار النّظّار في عُلوُم الأشعار، عبد الوهّاب بن إبراهيم بن عبد الوهّاب الخزرجي الزنجاني كان حيّاً سنة(660ه)، تحقيق ودراسة وشرح: د. محمد علي رزق الخفاجي، دار المعارف، القاهرة،1991م.

18-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، ط3، دار الكتاب العربي ، بيروت،1407 هـ.
19-اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، دار صادر – بيروت.
20-مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ط4، دار القلم، 1426هـ -2005م.
21-مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ط24، دار العلم للملايين،2000م.
22-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب(المتوفى: 637هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت، 1420 هـ.
23-مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(المتوفى:911ه)، قرأهُ وتممه: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، ط1، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية،1426هـ.
24-معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل(المتوفى:911هـ)، ضبطهُ وصحَّحَهُ وكتبَ فهارسهُ: أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، 1408هـ-1988.
25-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط6، دار الفكر، دمشق،1985م.
26-مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(المتوفى: 606هـ)، ط 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1420 هـ.
27-نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم (المتوفى: 1362هـ)، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، 1960م.
28-نظم الدرر، البقاعي، في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(المتوفى:885ه)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

الدراسات:

29-التناسب القرآني عند الإمام البقاعي دراسة بلاغية، مشهور موسى مشهور مشاهرة، إشراف: د. محمد بركات أبو علي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية،2001م.
30-المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها(دراسة تطبيقية للجزء الأول من سورة البقرة)، أحمد محمد عطيه يوسف المنيرواي، إشراف: د. زكريا إبراهيم الزميلي، الجامعة الإسلامية،غزة،1431هـ-2010م.
31-المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها (دراسة تطبيقية من سورة الواقعة إلى نهاية سورة التحريم)، عامر علان الوحيدي، إشراف: عبد السلام حمدان اللوح، الجامعة الإسلامية، غزة، 1432هـ-2011م.

الدوريات:

32-بين علم المناسبة والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة منهجية مقارنة، د. زهراء خالد سعد الله العبيدي، المجلة العالمية لبحوث القرآن. متاح على الرابط: **file:///C:/Users/DELL/Downloads/20%3056(7).pdf()** (تاريخ الزيارة:23/5/ 2024)